(( **العمالة مالهم وما عليهم**  ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

الأولى

هل تذكرون يوم وقف رسول الله @ بمكة ، عام حجة الوداع ، وقَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ» رواه البخاري .

معاشر المؤمنين .. كلنا يعلم أن حقوق العباد مع العباد مَبْنِيَّةٌ على المطالبةِ والمشاحة ولا تبرأ ذمة العبد إلاّ بأدائها والعبد الذي يخشى ربّه ينتابه الخوف والفزع من حقوق العباد ، فالظلم والمماطلة بحقوق العباد ذنبٌ عظيم ، واليوم تساهل الناس في حقوق العباد، وكأنهم لا يحاسبون عليها، فلو أقسمت لا أحنث أنه ما بين فينة وأخرى ، إلا ويستوقفك شخصٌ يتظلّم ، أو خادمٌ يتألم ، أو سائق مقهور ، ومكفول مكلوم.

هل نسي الناس أن الله تعالى حرم الظلم على نفسه فقال سبحانه : «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا » رواه مسلم . ؟

هل جهلوا أن النبي قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ رواه البخاري ؟

هل أعمى الجشع والطمع أبصارهم وبصائرهم عن الوعد والوعيد لمن استخفّ وماطل وظلم في حقوق العباد ، والنبي يقول : «اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» متفق عليه ؟

هل استولت عليهم الأنانية والجشع حتى كأنك تنظر إلى بحيرة يأكل كبار الحوت صغارها ، أو في أرض مسبعة يفترس فيها القوي الضعيف ؟

أين هؤلاء من قول نبيّنا : «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ» رواه مسلم ؟

أين نحن من هذا الحديث القدسي الذي تشيب من هوله مفارق الولدان يقول النبي فيما يرويه عن ربه عز وجل قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ. رواه البخاري.

ولكن حين يضعف الإيمان، ويغيب الوازع الديني، وتضمحل الرحمة من القلوب، وينسى العبد لحظة النهاية وفراش الموت، وظلمة القبر، وهول الحشر، ويظن أنّ تأخر العقوبة إهمالاً لا إمهالاً ، فلا تعجب!! من هول ما ترى من البخس والتساهل بحقوق العباد، قسماً بمن أحلّ القسم ليأتين يومٌ يقتصّ فيه للبهيمة من البهيمة يقسم نبينا وهو يقول : «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ» رواه مسلم .

ماذا سيقول الكفيل الظالم ؟ والعامل الخائن ؟

ماذا سيقول من اؤتمن فخان ، وعاهد وغدر ؟

ماذا يقول من استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره ؟

ماذا يقول من استقرض واستدان ثم وعد وخلف ؟

ماذا يقولون في موقف يقول الله تعالى عنه:

ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ الأنبياء: ٤٧

سمعت من بعض الوافدين صورا من التعسّف والظلم وبخس الحقوق تئنّ لها الجبال الراسيات ، وأنا لا أعمم حاشا وكلّا فلا أشك في وجود بعض الكفلاء الأخيار الذين لا يبخسون الناس شيئا ، ولكني أخاطب فئة منّ الله عليهم بالمال والثراء فزلّت أقدامهم في البغي والطغيان ، والظلم والبهتان ، فئة آن الأوان لنذكرهم بمقولة عمر : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ موارد الظمآن لدروس الزمان (6/ 667)

جلست مع بعض الوافدين وهو يتحدّث عن المعاناة، والآلام التي تجرعها ليصل بها على كفالة شركة ما لهذه البلاد الطاهرة ، فقبل أن يصل هذا الأجير الموعود بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ناهيكم عن ضمان النفقة والسكن والنقل في ملف ضخم من الوعود والإغراءات ، فيطير العامل فرحاً ، يقول محدثي: " والله بعت ما لدي من ممتلكات واستدنت " ، ناهيكم عن حجم المعاناة التي تكبدها هذا العامل ، من ملف إلى ملف ، ومن جهة إلى جهة ، ومن موظف إلى موظف ، ومن دفع للرسوم بحقّ وبغير حق فلا يصل إلى هذه البلاد الطيبة إلا وقد بذل دم قلبه .

فإذا تحقق حلمه، ووصل مبتغاه رأى العقود، والوعود حبراً على ورق، وأضغاث أحلام ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ النور: ٣٩ .

فالعمل المتفق عليه قد تشعّب وتمدّد فمن سائق إلى عامل ومن حارس إلى نجار ، ففي الصباح سائق ، وفي المساء حارس ، وفي الظهيرة عامل ، وساعات الدوام تتضاعف ، والمستحقات المالية تتأخر وتتقلص .

فلم يعد سرّاً أن يمرّ الهلال ثم الهلال ثم الهلال دون أن يقبض هذا الوافد راتبه المنتظر ، وكنزه المدّخر ، فتنشب معركةٌ بين العامل وأهله ، فأهله أولاده ينتظرون المال المدّخر وهو يحنّ ويئن بين المؤسسة والشركة والكفيل ، فإن تظلّم واشتكى هدّد بالخصم والخروج النهائي ، والنبي يقول : «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ» رواه ابن ماجه وصححه الألباني في المشكاة 2987 .

وأمّا المسكن فلو ألقيت عليه نظرةً لفررت منه فرار المجذوم من الأسد ، ولملئت منه رعبا ، ناهيكم عن سوء التعامل والاحتقار ، والهمز ، واللمز ، والسبّ ، والشتم ، بل إن بعضهم يتعدّى بالضرب والاعتداء على بعض العمال البسطاء ، يقول أَبو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ» رواه مسلم .

بل إنّ بعض هؤلاء الكفلاء ربما استقدم عدداً من العمالة ثمّ سرّحهم في الأرض يسيحون فيها مقابل عطايا مادية تعطى في زمن معلوم ، وبقدر معلوم ، فيجمع بعضهم عدداً من الفيز والتأشيرات بطرق ملتوية مخالفة للشرع والنظام وولاة الأمر ، ويبيعها بمبالغ باهظة ، وقد سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء عن حكم توزيع العمال المكفولين للعمل عند الناس وأخذ نسبة منهم نهاية كل شهر؟

فأجابت اللجنة: "لا يجوز أخذ نسبة من العمال وتركهم يعملون عند غير كفيلهم". فتاوى اللجنة الدائمة ، رقم 20057 .

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم ..**

الثانية

سُئِلتْ اللَّجْنَةُ الدَّائِمَةُ عَنْ الْعَمَالَةِ السَّائِبَةِ، أَوْ الْهَارِبَةِ مِنْ كُفُلَائِهِمْ: هَلْ التَّسَتُّرُ عَلَيْهِمْ وَالْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ مِنْهُمْ بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ مَسَاكِينُ، أَوْ أَنَّنَا بِحَاجَةٍ لَهُمْ جَائِزٌ شَرْعًا، أَمْ لَا؟ فأجابت: "لَا يَجُوزُ التَّسَتُّرُ عَلَى الْعَمَالَةِ السَّائِبَةِ، وَالْمُتَخَلِّفَةِ، وَالْهَارِبَةِ مِنْ كُفَلَائِهِمْ، وَلَا الْبَيْعُ أَوْ الشِّرَاءُ مِنْهُمْ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُخَالَفَةِ أَنْظِمَةِ الدَّوْلَةِ، وَلِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِعَانَتِهِمْ عَلَى خِيَانَةِ الدَّوْلَةِ الِّتِي قَدِمُوا لَهَا، وَكَثْرَةِ الْعَمَالَةِ السَّائِبَةِ؛ مِمَّا يُؤدِّي إِلَى كَثْرَةِ الْفَسَادِ، وَالْفَوْضَى، وَتَشْجِيعِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، وَحِرْمَانِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَمَلَ، وَالتَّضْييقِ عَلَيْه".

يا كرام ..

لقد أنعم الله على بلاد الحرمين بنعم وخيرات عظيمة، فتشوفت إليها الأنظار، وتاقت إليها الأنفس، وحنّت لها الأفئدة، فالرغبة في سكناها أمل، والخروج منها ألم ، فوجود الحرمين الشريفين ، والأمن والأمان ، ورغد العيش والإطعام والإكرام ، شوّق الأنفس إليها تشويقاً، وأخذ بمجامع القلوب بالهجرة إليها فما من قريب ولا بعيد إلاّ ويسعى سعياً حثيثاً لسكناها ، والعيش على بساطها وأمنها، وعبارات الحبِّ والتقدير، وكلمات الاحترام والتبجيل، والدعاء والثناء نهديها من قلوبنا لكل وافد لبلاد الحرمين لعلمٍ أو تعليم، أو عبادة أو زيارة، أو عملٍ وكسب عيشٍ وفق الأنظمة المشروعة، والضوابط الرسمية الأمنية، فظروف الحياء دعت الكثير من إخواننا المسلمين للهجرة إلى بلاد الحرمين، والرغبة في العمل والعيش في ظلها على اختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم فالكثير من العلماء، والأطباء، وأصحاب القدرات العلمية والمهنية، والأخيار وحملة القرآن فأخذنا منهم وأخذوا منا فلا يسوغ لنا بحال أن نهمزهم ، أو نلمزهم، فهم منّا ونحن منهم، والنبي @ يقول : وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ». رواه مسلم.

ولكن لنكن صرحاء فهناك كم هائل من العمالة السائبة المخالفة التي تعمل دون حسيب ولا رقيب ولا نظام!

بل ربما كانت هذه العمالة السائبة المخالفة سبباً في نشر الفساد والإفساد، وبيع الحرام، والتزوير، والتغرير، ناهيكم عن الغش التجاري وصور النصب والاحتيال، وحدّث ولا كرامة عن الأطعمة الفاسدة والبضائع الفاسدة، ناهيكم عن القضايا الكبرى التي ملئت بها الجهات الأمنية من جراء هذه العمالة السائبة المخالفة.

فطاعة وليّ الأمر بالتقيّد بالأنظمة الرسميّة في عدم إيواء هذه العمالة السائبة والمخالفة يدفع الضرر عن بلادنا وأمننا، فالنظام عصب الحياة في المجتمعات وهو ثقافة يتربى عليها الأجيال .